

عِلْمُ الدِّفَاعِيَّاتِ

المحاضرة ٣٠: الكتاب المقدس وعلم الدفاعيات، الجزء هـ

أ.ر. سي. سبرول

نصل الآن إلى المحاضرة الأخيرة من سلسلة دراستنا لزاهة الكتاب المقدس وسلطته. ومع أننا تطرّفنا قليلاً إلى بعض القضايا الرئيسية المتعلقة بالدفاع عن الكتاب المقدس، ثمة بعض الحجج اللافتة التي قدّمت في تاريخ الكنيسة للدفاع عن الكتاب المقدس. يحضرنى بصفة خاصة كتاب جون كالفين في القرن السادس عشر. ففي كتابه الشهير بعنوان "أسس الدين المسيحي"، قدّم بعض الحجج غير المعتادة المؤيِّدة لسلطة الكتاب المقدس. قطعاً، كان كالفين مدركاً تماماً بأنّ الكتاب المقدس كتبه كتّاب بشريّون. ومع ذلك، كان مفتنعاً بأنّ الكتاب المقدس لا يزال، بفضل الوحي الإلهي، هو كلمة الله الحقيقية، ويجب قبول سلطته كما لو أنّ الله نفسه يكلمنا بصوت مسموع.

في كتاب "أسس الدين المسيحي"، أشار كالفين إلى عدّة أسباب، موضوعيّة، مستمدّة من الكتاب المقدس نفسه، رأى أنّها أدلة مهمّة تُثبت سلطة الكتاب المقدس. ونُسّي هذه الأدلة، إن جاز التعبير، بالحجج أو البراهين الداخليّة على صحّة الكتاب المقدس، لتمييزها عن الحجج الخارجيّة المستمدّة من علم الآثار وما شابهه. يُثير ذلك اهتمامي نوعاً ما لأننا قلّمنا نجد في هذه الأيام أناساً يدافعون عن سلطة الكتاب بأسلوب كالفين. لكنّ بسبب دوره في تاريخ الكنيسة، اعتقد أنّه من المهمّ أن نتمعّن في دراسة رأيه.

حين فحص كالفين نصّ الكتاب المقدس، ودرس ما دعاه بالبراهين الداخليّة، كانت الكلمة التي استخدمها للإشارة إلى الأدلة هي "indicia"، أي المؤشّرات، أو البراهين الموضوعيّة، التي تُظهر الأصل الفائق للطبيعة للكتاب المقدس. وبعض البراهين التي أعارها اهتماماً تَصمّنت أموراً مثل قِدَم الكتاب المقدس. لذلك قلت إنّ براهينه تبدو غريبة بعض الشيء، لأننا لا ندافع اليوم عن صحّة وثيقة ما بالاستناد إلى عمرها. لكنّ، كان كالفين يقصد أنّ الإعلان العامّ، أي إعلان الله عن ذاته من خلال الطبيعة، هو أمرٌ لا زَمَ الجنس البشريّ منذ فجر الخليقة، وأنّ الله لم ينتظر دهوراً كي يكمل ذلك الإعلان العامّ بإعلان كلمته المكتوب. وبالتالي، قال كالفين إنّ الكتاب المقدس موجودٌ منذ أمدٍ طويل.

ليس ذلك فحسب، لكنّ عبر تاريخ وجود الكتاب المقدس، العهدين القديم والجديد، يُمكن أن نقول أولاً إنّ ما من كتاب حظي بمثل هذا الاهتمام التفصيليِّ بحفظه. ومن بين كتابات العالم القديم، لم يخضع كتاب للتقييم التّفديّي، ولاهتمام الكتّبة والنساخ بحفظه، مثل الكتاب المقدس. ثانياً، لم يخضع أيّ كتاب قديم لما يُشبه الفحص الدقيق لتفصيله مثل الكتاب المقدس. فما من كتاب قديم خضع لهذا القدر الكبير من التحليل، والفحص، وما

إِلَى ذَلِكَ، مِثْلَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَفِي ضَوْءِ التَّحْلِيلِ الْمُدْهَلِ وَالذَّقِيقِ لِمُحْتَوَاهُ، لَمْ يَظَلَّ مَوْجُودًا فَحَسْبُ، بَلْ ظَلَّ بِاسْتِمْرَارِ الْكِتَابِ الْأَكْثَرِ مَبِيعًا سَنَوِيًّا فِي الْعَالَمِ. إِذَنْ، اجْتَارَ هَذَا الْكِتَابُ امْتِحَانَ الزَّمَنِ، وَصَمَدَ أَمَامَ الْهُجُومِ الْجُذْرِيِّ الَّذِي شُنَّ عَلَيْهِ خِلَالَ الْقَرْنَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ، بِحَيْثُ إِذَا كَانَ كَالْفَنِّ مُنْبَهْرًا بِقَدَمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ، أَنَا مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ كَانَ لِيُصْبِحَ أَكْثَرَ انْبِهَارًا بِمَكَانَتِهِ الْحَالِيَّةِ عَلَى الرَّعْمِ مِنْ وَابِلِ التَّقْدِ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ.

ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ بُرْهَانٍ آخَرَ، وَهُوَ الطَّبِيعَةُ السَّمَاوِيَّةُ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. مُجَدِّدًا، نَادِرًا مَا نَسْمَعُ هَذِهِ الْحُجَّةَ الْيَوْمَ. لَكِنَّهَا فِكْرَةٌ اسْتُخْدِمَهَا كَالْفَنِّ، وَأَجِدُهَا مُتَّفِقَةً مَعَ اخْتِبَارِي الشَّخْصِيَّ مَعَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. دَعَوْنِي فَقَطْ أَظْلَعُكُمْ قَلِيلًا بِشَكْلِ عَابِرٍ عَلَى هَذَا الْاِخْتِبَارِ الشَّخْصِيِّ. بَدَأْتُ مَسِيرَتِي الْأَكَادِيمِيَّةَ، بِالتَّأَكِيدِ، فِي الْجَامِعَةِ، حَيْثُ تَخَصَّصْتُ فِي الْفَلَسَفَةِ. وَمِنَ الْجَامِعَةِ، انْتَقَلْتُ إِلَى كُتَيْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ، حَيْثُ دَرَسْتُ الْإِلَهِيَّةَ، لَكِنِ وَاصَلْتُ أَيْضًا دِرَاسَةَ الْفَلَسَفَةِ. ثُمَّ خِلَالَ دِرَاسَاتِي الْعُلْيَا فِي أوروْبَا، وَاصَلْتُ دِرَاسَةَ الْإِلَهِيَّةِ فِي إِطَارِ نَظَرِيَّاتِ التَّقْدِ الْأَعْلَى وَمَا إِلَى ذَلِكَ. لَكِنِ أَيْضًا، فِي الدَّرَاسَاتِ الْعُلْيَا، وَاصَلْتُ السَّعْيَ إِلَى دِرَاسَةِ الْفَلَسَفَةِ. وَمِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُ بِدِرَاسَتِي لِلْفَلَسَفَةِ كَتَخْصُصٍ، أَوْ كَمَجَالٍ أَكَادِيمِيٍّ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَجَالِ، رُبَّمَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ مَجَالٍ آخَرَ، يُؤَهِّلُ الدَّارِسِينَ لِعَمَلِيَّةِ التَّحْلِيلِ التَّقْدِيِّ الدَّقِيقَةِ. فَمِنْ أَوَّلِ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّمُهَا فِي دِرَاسَةِ الْفَلَسَفَةِ هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَا هُوَ مَطْبُوعٌ صَحِيحًا أَوْ جَدِيرًا بِالثَّقَّةِ، وَأَنَّهُ ثَمَّةُ مَبَادِيٍ لِلتَّحْلِيلِ، أَوْ لِإثْبَاتِ الصَّحَّةِ أَوْ الرَّيْفِ، يَجِبُ تَطْبِيقُهَا عَلَى أَيِّ نَصِّ مَكْتُوبٍ، عِنْدَ تَفْهِيمِ قُوَّةِ الْحُجَجِ، مَثَلًا.

وَبَعْدَ اجْتِيَازِي تِلْكَ الْبَوْتَقَةَ الْأَكَادِيمِيَّةَ الْخَاصَّةَ، تَعَلَّمْتُ قَطْعًا فِي وَقْتٍ مُبَكَّرٍ جِدًّا أَنْ أَقْرَأَ كُتُبَ الْفَلَسَفَةِ بَعِيْنٍ فَاحِصَةٍ، وَأَلَّا أَفْتَرِضَ صِحَّةَ كُلِّ مَا أَقْرَأُ. وَهَكَذَا، نَقَلْتُ هَذِهِ الْمُؤْنِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ خَلْفِيَّتِي إِلَى كُلِّ نَصِّ أَدْبِيٍّ أَقْرَأُ. لَكِنِّي اِكْتَشَفْتُ أَمْرًا مَلْحُوظًا، وَهُوَ أَنَّنِي حِينَ أَقْرَأُ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَجِدُ أَنَّ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هِيَ الَّتِي تَتَّقِدُنِي، وَلَسْتُ أَنَا الَّذِي أَنْقُدُهَا. فَإِنِّي أَجِدُ فِي مُحْتَوَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَا يَفُوقُ كَثِيرًا أَفْكَارًا أَكْثَرَ الْأَشْخَاصِ بَرَاعَةً وَإِبْدَاعًا، حَتَّى إِنَّنِي أَقِفُ مَذْهُولًا أَمَامَ سَعَةِ نِطَاقِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، وَهُوَ مَا دَعَاهُ كَالْفَنِّ بِالطَّبِيعَةِ السَّمَاوِيَّةِ، أَيَّ كَيْفٍ يَصِفُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ طَبِيعَةَ اللَّهِ بِعُمُقٍ شَدِيدٍ، لِدَرَجَةِ أَنَّنِي انْشَغَلْتُ طَوَالَ حَيَاتِي بِمُحَاوَلَةِ سَبْرِ غُورٍ عُمُقٍ مَا تُقَدِّمُهُ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَأَدْرِكُ أَنَّنِي حَتَّى وَإِنْ عِشْتُ ثَلَاثَ حَيَاتٍ أُخْرَى، لَنْ أَكُونَ قَدْ حَدَشْتُ سِوَى سَطْحِ الْعُظْمَةِ الْفَائِقَةِ لِمُحْتَوَى هَذَا الْكِتَابِ. أَتَعَجَّبُ حِينَ يَشْعُرُ النَّاسُ بِالضَّجَرِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَوْ حِينَ يُصْبِحُونَ عَدَائِيَيْنَ حِينَ يَقْرَأُونَ كَلَامَهُ، وَلِذَلِكَ لِحِمَالِ وَوُضُوحِ الْحَقِّ الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ.

اعْتَادَ سِي. إِس. لُودِسُ التَّحَدُّثَ عَمَّا أَسْمَاهُ "مَا لَهُ وَقَعُ الْحَقِّ"، بِحَيْثُ حِينَ تَسْمَعُهُ، تَعْلَمُ أَنَّكَ تُصْغِي إِلَى الْحَقِّ. وَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَمْ يَشَأْ دَاوُدُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَنْ يَسْمَعَهُ، لَكِنِ أُجْبِرَ عَلَى سَمَاعِهِ حِينَ جَاءَ إِلَيْهِ نَاتَانُ النَّبِيُّ كَاشِفًا خَطِيئَتَهُ. وَحِينَ سَمِعَ دَاوُدُ ذَلِكَ، انْفَتَحَتْ عَيْنَاهُ وَأَدْنَاهُ، وَأَدْرَكَ أَنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ اللَّهِ. أَشْبَهُ ذَلِكَ أَيْضًا بِقِصَّةِ عَلِيٍّ فِي الْعَهْدِ

الْقَدِيمِ، الَّذِي كَانَ ابْنَاهُ مُنْقَلَبَيْنِ، وَقَصَرَ فِي تَأْدِيبِهِمَا. تَذْكُرُونَ أَنَّ صَمُوئِيلَ الشَّابَّ وُضِعَ تَحْتَ مَسْئُولِيَّةِ عَالِي. وَذَاتَ مَسَاءٍ، بَيْنَمَا كَانَ كُلُّ مَنْ عَالِي وَصَمُوئِيلَ نَائِمَيْنِ، سَمِعَ صَمُوئِيلُ صَوْتًا يُنَادِيهِ "صَمُوئِيلُ". فَاسْتَيْقَظَ صَمُوئِيلُ، وَذَهَبَ، وَأَيَّقَظَ عَالِي وَسَأَلَهُ: "هَلْ نَادَيْتَنِي؟" فَأَجَابَهُ عَالِي: "كَلَّا، لَا بَدَّ مِنْ أَنَّكَ تُعَانِي عُسْرَ هَضْمٍ. فَأَنَا نَائِمٌ بِعُمُقٍ، عُدُّ إِلَى فِرَاشِكَ". وَبَعْدَ دَقَائِقٍ قَلِيلَةٍ، سَمِعَ الصَّوْتَ مُجَدِّدًا: "صَمُوئِيلُ" فَعَادَ صَمُوئِيلُ وَأَيَّقَظَ عَالِي. فَقَالَ لَهُ عَالِي: "مَهَلًا، إِنَّ حَدَثَ ذَلِكَ مُجَدِّدًا، فَقَدْ يَكُونُ هُوَ الرَّبِّ". وَقَطَعًا، بَعْدَ بَضْعِ لِحَظَاتٍ، سَمِعَ اسْمَ صَمُوئِيلَ مُجَدِّدًا وَمُتَكَرِّرًا: "صَمُوئِيلُ، صَمُوئِيلُ". وَهَذِهِ الْمَرَّةَ، رَدَّ صَمُوئِيلُ قَائِلًا: "تَكَلَّمْ يَا رَبُّ لِإِنَّ عَبْدَكَ سَامِعٌ". ثُمَّ كَشَفَ اللَّهُ لِصَمُوئِيلَ الدِّيُونَةَ الْوَشِيكَةَ الَّتِي سَيُوقِعُهَا عَلَى بَيْتِ عَالِي.

بَعْدَمَا حَدَثَ ذَلِكَ، وَفِي الصَّبَاحِ، سَأَلَ عَالِي صَمُوئِيلَ: "هَلْ كَلَّمَكَ اللَّهُ؟" فَأَجَابَ: "نَعَمْ". فَقَالَ عَالِي: "أَخْبِرْنِي بِمَا قَالَهُ لَكَ". فَقَالَ صَمُوئِيلُ: "كَلَّا". فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُطْلَعَ عَالِي عَلَى تِلْكَ الْأَخْبَارِ الْمُرَوَّعَةِ. فَأَذْرَكَ عَالِي أَنْ تَمَّةَ حَظْبًا مَا، فَقَالَ: "اسْمَعْ أَيُّهَا الشَّابُّ، أَخْبِرْنِي بِمَا كَلَّمَكَ بِهِ اللَّهُ، وَإِلَّا فَهَكَذَا يَعْْمَلُ لَكَ اللَّهُ وَهَكَذَا يَزِيدُ". وَهَكَذَا، أَطْلَعَ صَمُوئِيلُ عَالِي عَلَى فَحْوَى رِسَالَةِ الدِّيُونَةِ الَّتِي كَشَفَهَا لَهُ اللَّهُ. وَالْأَمْرُ اللَّافِتُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ هُوَ أَنَّهُ حِينَ سَمِعَ عَالِي تِلْكَ الرِّسَالَةَ كَانَ رَدُّهُ: "هُوَ الرَّبُّ". فَمِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ مِنَ الْعَلَاءِ، تَمَكَّنَ عَالِي فَوْرًا مِنْ فَهْمِ الرِّسَالَةِ السَّمَاوِيَّةِ وَإِدْرَاكِهَا، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَشَأْ سَمَاعَهَا. هَذَا مَا أَقْصِدُهُ. فَحِينَ أَقْرَأَ فِي صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، ثَمَّةَ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ لَا أَرْغَبُ فِي سَمَاعِهَا، وَتُرْزَعُجِي، وَمَعَ ذَلِكَ، وَكَمَا قَالَ يَسُوعُ: "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي". فَإِنِّي أَشْعُرُ بِسَمَاوِيَّةِ الْكَلَامِ، وَأَعْتَقِدُ أَنِّي أَنفَهُمْ تَمَامًا مَا قَصِدُهُ كَالْفِرْنِ. لَكِنْ مُجَدِّدًا، الَّذِينَ لَا يَشْعُرُونَ بِسَمَاوِيَّةِ الْكَلَامِ لَا يَقْتَنِعُونَ بِهِ كَمَا يَنْبَغِي.

أَشَارَ كَالْفِرْنِ أَيْضًا إِلَى التَّوَافُقِ بَيْنَ كُلِّ أَجْزَاءِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. يَبْدُلُ التُّقَادُ كُلَّ مَا يُوَسِّعُهُمْ لِإِبْرَارِ التَّنَاقُضَاتِ. فَأَحَدُ كُتَّابِ الْأَنْجِيلِ قَالَ إِنَّهُ فِي يَوْمِ الْفِيَامَةِ ظَهَرَ مَلَكَانِ، بَيْنَمَا ذَكَرَ آخَرَ مَلَكَانًا وَاحِدًا، فَيَقُولُ الْبَعْضُ: "هَذَا تَنَاقُضٌ فِي الْمَصَادِرِ". قَطْعًا، لَيْسَ هَذَا تَنَاقُضًا، مَا لَمْ يَقُلِ النَّصُّ - أَوْ أَحَدُ الْكُتَّابِ - "كَانَ هُنَاكَ مَلَكَانٌ وَاحِدٌ فَقَطْ"، وَقَالَ آخَرُ "كَانَ هُنَاكَ مَلَكَانٌ". عِنْدَيْهِ، يَكُونُ هَذَا تَنَاقُضًا. لَكِنْ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَلَكَانِ، فَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ وَاحِدًا. وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدُ الْكُتَّابِ مَلَكَانًا وَاحِدًا، فَرِوَايَتُهُ تَخْتَلِفُ عَنِ رِوَايَةِ الَّذِي ذَكَرَ الْمَلَكَانِ، لَكِنَّهُمَا لَيْسَا مُتَنَاقِضَيْنِ. لَكِنْ النَّاسُ يُسَارِعُونَ إِلَى الْحُكْمِ عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَمُجَدِّدًا، أَرَى أَنَّ مِنْ أَهَمِّ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمَكِّنُ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يُصَارِعُ مَعَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِهَا هِيَ إِيجَادُ كِتَابٍ يَحْوِي كُلَّ أَنْوَاعِ الْمُسْكَاتِ الَّتِي قَدَّمَهَا أَتْبَاعُ التَّقْدِ الْأَعْلَى، وَالْحُلُولِ الَّتِي قُدِّمَتْ. هَذَا مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ طَوَالَ حَيَاتِي. وَأَقُولُ إِنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ أَكْتُبَ تَفْسِيرًا مُحْفَظًا لِكُلِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَدْفِعُ فِيهِ عَنِ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ، دُونَ الْاِقْتِبَاسِ مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ مُحْفَظٍ، لِأَنَّهُ فِي مُقَابِلِ كُلِّ خَمْسَةِ نِقَادٍ يُشَكِّكُونَ فِي نَصِّ مَا، يُوجَدُ خَمْسَةُ آخَرُونَ يُشَكِّكُونَ فِي نَصِّ آخَرَ، بَيْنَمَا يُؤَكِّدُونَ صِحَّةَ النَّصِّ الْأَوَّلِ. إِذَنْ، تَرَوْنَ كَيْفَ تَبْدُو

الْعَمَلِيَّةُ. لَكِنَّ مُجَدِّدًا، بِرَأْيِي، التَّوَافُقُ وَالْوَحْدَةُ الْمُتَشَابِهَةُ الَّتِي تَتَجَلَّى فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هُوَ أَمْرٌ لَمْ أَعْهَدُهُ فِي أَيِّ كِتَابٍ آخَرَ طَوَالَ حَيَاتِي.

كَذَلِكَ، مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَعْتَرِضُ النَّاسُ عَلَيَّهَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هِيَ "أَخْلَافِيَّاتُ" الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَيَبْدُو أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يُعَلِّمُ عَنْ إِلَهٍ ظَالِمٍ وَشَرِّيرٍ، فَرَضَ قَوَائِنَ تُجَرِّدُ الْإِنْسَانَ مِنْ إِنْسَانِيَّتِهِ، وَإِلَهُ يَقْتُلُ النَّاسَ كَمَا فَعَلَ فِي الطُّوفَانِ، إِلَى آخِرِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ، إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَخْلَافِيَّاتِ أَرِسْطُو التِّيْفُومَاخِيَّةِ، الَّتِي ظَلَّتْ بَاقِيَةً أَيْضًا مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَهِيَ التَّمُودُجُ فِي الْأَخْلَافِيَّاتِ، نَجِدُ أَنَّهَا لَا تَرْتَقِي وَلَوْ قَلِيلًا إِلَى مُسْتَوَى الْعَدَالَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي الْقَانُونِ الْأَخْلَافِيِّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. لَا يُجِبُ النَّاسُ سَمَاعَ مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ الْأَخْلَاقِ، وَلَا يُجِبُونَ سَمَاعَ أَنَّنَا يُجِبُ أَلَّا نَزْنِي. لَكِنَّا نَعْلَمُ جَمِيعًا، كَمَا أَشَارَ كَانُظُ فِي حُجَّتِهِ الْأَخْلَافِيَّةِ، مَدَى اسْتِقَامَةِ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْبَارَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَمُجَدِّدًا، حِينَ أَفْرَأُ شَرِيعَةَ اللَّهِ، وَتَوْضُعَ أَخْلَافِي فِي مُقَارَنَةِ بَمَعْيَارِ الْأَخْلَاقِ الْمُقَدَّمِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَجِدُ أَنَّهُ مِنْ عَدَمِ الْأَمَانَةِ أَنْ نُحَاوِلَ نَقْدَهُ، بَدَلًا مِنْ أَنْ نَجْعَلَهُ يَنْقُذُنَا، لِأَنَّهُ يُبَكِّتُنَا.

هَذِهِ فَقَطْ بَعْضُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الدَّاخِلِيَّةِ، نَاهِيكَ عَنِ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ الْأَدِلَّةِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هُوَ النُّبُوءَاتُ. فَحِينَ يَنْتَبَهُ أَنَّاسٌ عَنْ أُمُورٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ، لَا بِأَسْلُوبٍ عَامٍّ غَامِضٍ، وَإِنَّمَا بِتَفَاصِيلٍ مُحَدَّدَةٍ، تَتَحَقَّقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِشَكْلِ دَقِيقٍ وَمُحَدَّدٍ، يَكْشِفُ ذَلِكَ الْأَصْلَ الْفَائِقَ لِلطَّبِيعَةِ لِئَلَّا الْمَعْلُومَاتِ. قِيلَ إِنَّهُ تُوْجِدُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ نُبُوءَةٍ مُحَدَّدَةٍ وَتَفْصِيلِيَّةٍ عَنِ الْمَسِيَّا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، تَمَّتْ بِوُضُوحٍ فِي شَخْصِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ. وَكَيْ يَكُونَ ذَلِكَ مُجَرَّدَ مُصَادَقَةٍ، قُدِّرَتْ الْإِحْتِمَالَاتُ لَا بِالْمِليَارَاتِ، أَوْ بِالْتَّرْلِيُونَاتِ، بَلْ بِرَفِيفِ لَامْتِنَاهِي الْأَصْفَارِ الَّتِي نَعْجِزُ حَتَّى عَنْ إِحْصَائِهَا، أَنَّ تَتَحَقَّقُ كُلُّ تِلْكَ الْأُمُورِ مُصَادَقَةً فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ.

مِنَ اللَّافِتِ أَنَّ هَذَا مِنْ أَسْبَابِ مُلَاحَقَةِ جَمَاعَةِ "نَدْوَةِ يَسُوعَ" الْيَوْمَ لِلنُّبُوءَاتِ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَعْظَمَ بُرْهَانٍ دَاخِلِيٍّ عَلَى الْأَصْلِ الْإِلَهِيِّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هُوَ النُّبُوءَاتُ الْمُحَدَّدَةُ. وَفِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ، هَاجَمَتْ لِيْبِرَالِيَّةُ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِيلَادَ الْمَسِيحِ الْعُدْرَاوِيِّ، مُحَاوَلَةً دَحْضَ نُبُوءَةِ إِشْعِيَاءَ عَنِ الْعُدْرَاءِ الَّتِي سَتَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَالَّتِي شَهِدَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ عَنْ تَحَقُّقِهَا فِي مِيلَادِ يَسُوعَ مِنْ عُدْرَاءٍ. لَكِنِ الْآنَ، تَتَمَادَى جَمَاعَةُ "نَدْوَةِ يَسُوعَ"، مُحَاوَلَةً دَحْضَ مِيلَادِ يَسُوعَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ. وَبِالْحَقِيقَةِ، عَبَّرَ تَارِيخُ الْكَنِيسَةِ بِأَكْمَلِهِ، لَا يُوجَدُ وَلَوْ دَلِيلٌ وَاحِدٌ ضَدَّ الْمَوْجِعِ التَّارِيخِيِّ لِمِيلَادِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ. لَكِنِ لِمَاذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَهْدَافِ جَمَاعَةِ "نَدْوَةِ يَسُوعَ"؟ لِأَنَّهُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، قَالَ مِيخَا النَّبِيُّ: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُودَا، فَمِنْكَ يُخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا"، أَيْ إِنَّ مِيلَادَ الْمَسِيَّا فِي بَيْتِ لَحْمٍ كَانَ وَاحِدًا مِنَ النُّبُوءَاتِ الْمُحَدَّدَةِ فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ.

سَأَسْرَعُ الْوَيْرَةَ قَلِيلًا. قَالَ كَالْفِنْ إِنَّ هَذِهِ الْبَرَاهِينَ وَعَبْرَهَا هِيَ أَدَلَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ تُثَبِّتُ الْأَصْلَ الْإِلَهِيَّ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْبَرَاهِينَ فَعَالَةٌ بِمَا يَكْفِي لِسَدِّ أَفْوَاهِ الْمُشَاكِسِينَ. لَكِنَّهُ قَالَ: "لَنْ يَفْتَنَعَ النَّاسُ بِسُهُولَةٍ بِهَذِهِ الْبَرَاهِينَ الْمَوْضُوعِيَّةِ، أَوْ بِهَذِهِ الْمَوْشَّرَاتِ (indicia)، إِلَى أَنْ تُعَزَّزَ خِدْمَةُ وَعَمَلُ الرُّوحِ الْقُدُسِ هَذِهِ الْبَرَاهِينَ الْمَوْضُوعِيَّةِ".

يَجِبُ أَنْ نَتَوَخَّى الْحَذَرَ هُنَا. تَحَدَّثَ كَالْفِنْ عَمَّا دَعَاهُ بِالشَّهَادَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ جُزْءًا مِنَ الْبَرَاهِينَ الْمَوْضُوعِيَّةِ، لَكِنَّهَا شَيْءٌ يَحْدُثُ فِي دَاخِلِنَا، حَيْثُ يُفْنِعُنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ حِينَ نَقْرَأُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ بِأَنَّنَا أَمَامَ مَا لَا يَقِلُّ عَنِ حَقِّ اللَّهِ. لَمْ يَنْحَدِرْ كَالْفِنْ إِلَى تَبَيُّنِ التَّصَوُّفِ الشَّخْصِيِّ، قَائِلًا: "مَا مِنْ دَلِيلٍ مَوْضُوعِيٍّ عَلَى أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، بَلْ فَقَطْ عَلَيْنَا أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ. فَأَنْتِ تُوْمِنُ بِهِ لِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُخَاطِبُ قَلْبَكَ، إِلَى آخِرِهِ". كَلَّا، كَلَّا، كَلَّا. إِلَيْكَ مَا يَقْصِدُهُ كَالْفِنْ. أَوَّلًا، شَهَادَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ الدَّاخِلِيَّةِ لَا تَعْنِي أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَهْمِسُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَوْ فِي أُذُنَيْهِ بِمَعْلُومَاتٍ جَدِيدَةٍ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا. فَهَذِهِ فِكْرَةٌ عُنُوسِيَّةٌ. كَمَا لَا تَعْنِي أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَقْدِمُ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ غَيْرُ مُتَاجٍ لِلَّذِينَ لَمْ يَمُرُوا بِذَلِكَ الْإِخْتِبَارِ الدَّاخِلِيِّ. أُكْرِرُ، هَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّصَوُّفِ. بَلْ يَقْصِدُ كَالْفِنْ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ يَرْضَخُ أَوْ يَسْتَسَلِمُ لِلْمَوْشَّرَاتِ أَوْ الْأَدَلَّةِ.

وَمَا مَعْنَى أَنْ يَرْضَخَ لِلْأَدَلَّةِ؟ أَتَذْكُرُونَ أَنَّنِي فِي بَدَايَةِ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ مَيَّزْتُ بَيْنَ الْبُرْهَانِ وَالْإِقْنَاعِ؟ قَالَ كَالْفِنْ إِنَّهُ لِأَنَّنَا بِالطَّبِيعَةِ فِي عَدَاءٍ ضِدِّ فِكْرِ اللَّهِ وَحَقِّهِ، حَتَّى إِنْ ظَهَرَ اللَّهُ أَمَامَنَا، أَوْ كَمَا قَالَ يَسُوعُ إِنَّهُ حَتَّى إِنْ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوْتِ، سَيَرْفُضُ النَّاسُ أَنْ يُصَدِّقُوا ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ تَصَدِيقَهُ. وَمَعَ أَنَّ الْبُرْهَانَ دَامِعٌ، يَظَلُّ النَّاسُ غَيْرَ مُقْتَنِعِينَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَدَاءً وَتَحِيْرًا ضِدِّ حَقِّ اللَّهِ. قَالَ كَالْفِنْ إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَا يَقْدِمُ بَرَاهِينَ جَدِيدَةً أَوْ إِضَافِيَّةً، أَوْ حُجَّةً جَدِيدَةً، لَكِنَّهُ يَهْدِمُ أَسْوَارَ الْعَدَاءِ فِي قُلُوبِنَا ضِدِّ حَقِّ اللَّهِ، فَيَجْعَلُنَا مُسْتَعِدِّينَ لِلِاسْتِسْلَامِ لِلْبَرَاهِينَ الْحَقِيقِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ.

إِذَنْ، قَصَدَ كَالْفِنْ مَا قَصَدَهُ بُولْسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى كُورِنْثُوسَ - فِي الْأَصْحَاحِ الثَّانِي - حِينَ تَحَدَّثَ عَنِ الْحَقَائِقِ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا رُوحِيًّا، ثُمَّ تَقْبَلُ، حِينَ يَهْدِمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ جُدْرَانَ نُفُورِنَا مِنْهَا.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سِنْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقُدُسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِاصْلَاحِ (Reformation Bible College) وَهُوَ مُؤَلَّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْنَا لَاهُوتِيُون" و"أَدَهْشِنِي الْأَم".